الفصل الثالث

الأساس الثالث
طبيعة الإنسان

الفصل الثالث

الأساس الثالث: طبيعة الإنسان

يعد التلميذ من أهم الأسس التى يبنى عليها المنهج ؛ لأنه هو محور العملية التعليمية ومناط جهودها ، فإذا كانت الغاية من التربية هو إعداد التلميذ ليكون خليفة الله فى الأرض يعمرها ويطور الحياة فيها على هدى من الله ؛ لذلك كانت الحاجة إلى تحليل طبيعة التلميذ كما خلقه الله والتعرف عليها ، وكيفية التعامل معها ، والاهتداء بالكيفية التى علم الله بها آدم وزوده بالخبرات اللازمة له لشق طريقه فى الحياة على الأرض ، كل هذا كان ضروريًّا لتأسيس المنهج المناسب لتربية هذا التلميذ.

ويعتبر هذا الفصل محاولة لتحقيق ذلك من خلال عرض أهم خصائص طبيعة الإنسان للاسترشاد بها فى إعداد مناهج تربية هذا الإنسان بما يتناسب وهذه الخصائص.

١ ـ الإنسان مخلوق مكرم :

لقد تعددت صور تكريم الله للإنسان وكانت أول صور التكريم متمثلة فى الإعلان العلوى الجليل فى الملأ الأعلى الكريم لاستقبال نشأة هذا المخلوق الجديد فى موكب عظيم من الملائكة ليكون خليفة الله فى الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

كما كرمه الله بإعلان هذا التكريم فى كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقى فى الأرض : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن أعظم ما كرم به الله الإنسان على كل المخلوقات أنه أنشأه بيديه ، أما باقى المخلوقات فقد أنشأها الله بـ «كن» فكانت ،كما أن الله نفخ فيه من روحه ، فهذه النفخة قد شرفت الإنسان عن سائر خلق الله ، فلا شرف أفضل من هذا ، فالإنسان فيه من روح الله ما يسمو به ويرقى به إذا ارتفع بدينه وزكى بنفسه . ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٩].

وتوالت صور التكريم لهذا المخلوق بأن أسجد الله له الملائكة سجود تكريم أو سجود تحية ـ لا سجود عبادة ـ بعد أن أعلن الله عن خلقه فى ذلك الموكب العظيم بالملأ الأعلى لاستقبال الوجود لهذا المخلوق ، فأية عظمة هذه وأى تكريم هذا : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١١].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل جعل الله من الملائكة حفظة عليه ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ

فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام : ٦١] .

كما جعل منهم من يبلغ الرسل وحيه، وأنزلهم على الذين قالوا :ربنا الله ثم استقاموا ، يثبتونهم ويبشرونهم، وعلى المجاهدين فى سبيل الله ينصرونهم ويبشرونهم كذلك : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩،١٠] ، ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وسلطهم على الذين كفروا يلقون فى قلوبهم الرعب وعند الوفاة يستلون أرواحهم منهم فى تأنيب وتعذيب ... إلخ. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] .

سر التعليق :

بدا لى أن العورة فى الأصل : هى العورة المغلظة ، ولم لا تكون ما يخرج من السبيلين والنفس تساء بها كذلك .. والخصف بورق الجنة لستره فى حق الاثنين جائز . وانتقلت مع ذات المعنى إلى وسوسة الشيطان مع بنى آدم .. وما الذنب المرتكب نتيجة الوسوسة إلا ويتبعه نوع من الخزى أو الندم فهو إذن : انكشاف سوءة ، والأمر على هذا النسق كان وروده فى الذهن :

١ـ أغرى الشيطان أبا البشر آدم ـ عليه السلام ـ بالترغيب والقسم حتى عصى وأكل .

٢ـ بدت السوأة على إحدى الحالتين .. الثانية أن ما يخرج من السبيلين رشح يشبه العرق له عطر .

٣ـ وللشيطان مع ابن آدم نفس السبيل ، وحين يُتابع يكون الندم والخزى فقد بدت للعاصى سوأة .

من الأدلة :

١ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ، والكسب الأول من وسوسته .

٢ـ « **إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم** » [رواه البخارى وأحمد عن أنس ـ رضى الله عنهم] .

٣ـ « **إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس** » .

٢ ـ الإنسان مفطور على الإيمان بالله وتوحيده :

لقد خلق الله الإنسان مفطورًا على الإيمان بالله وتوحيده ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف ١٧٢] .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الروم: ٣٠]

فقد أخذ الله على بنى آدم الميثاق فى ذات أنفسهم ، وذات تكوينهم ، وهم فى عالم الذر، فالاعتراف بربوبية الله فطرة فى كيان الإنسان ؛ لذلك فحقيقة التوحيد مركوزة فى الفطرة الإنسانية ، يخرج بها كل مولود إلى الوجود ، فلا يميل عنها إلا أن يفسد فطرته عامل خارجى عنها ، عامل يستغل الاستعداد البشرى للهدى والضلال ويوضح هذا صراحة قول رسول الله ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء** » [البخاري] .

إن العبودية لله هى حقيقة الإيمان، وهى فى الوقت ذاته أعلى مقام للإنسان يبلغ إليه بتكريم الله له، إن العبودية لله وحده هى العاصم من العبودية للهوى والعاصم من العبودية لهواه كما يعتصم بالله من العبودية لسواه.

إن الذين يستنكفون أن يكونوا عباد الله وحده، يقعون من فورهم ضحايا لأحط العبوديات الأخرى ، يقعون من فورهم عبيدا لهواهم وشهواتهم ونزواتهم ودوافعهم ، فيفقدون من فورهم إرادتهم الضابطة التى خص الله بها نوع الإنسان من بين سائر الأنواع ،وينحدرون فى سلم الدواب فإذا هم شر الدواب ، وإذا هم كالأنعام بل هم أضل ، وإذا هم أسفل سافلين بعد أن كانوا ـ كما خلقهم الله ـ فى أحسن تقويم.

كذلك يقع الذين يستنكفون أن يكونوا عباد الله فى سر العبوديات الأخرى

وأحطها يقعون فى عبودية العبيد من أمثالهم ، يصرفون حياتهم وفق هواهم ، ووفق ما يبدو لهم من نظريات واتجاهات قصيرة النظر مشوبة بحب الاستعلاء، كما هى مشوبة بالجهل والنقص والهوى .

ويقعون فى عبودية « الحتميات» التى يقال لهم : إنه لا قبل لهم بها ، وأنه لا بد من أن يخضعوا لها ولا يناقشونها «حتمية التاريخ» ، «حتمية الاقتصاد» ، «حتمية التطور» وسائر الحتميات المادية التى تمرغ جبين الإنسان فى الرغام وهو لا يملك أن يرفعه، ولا أن يناقش ـ فى عبوديته البائسة الذليلة ـ هذه الحتميات الجبارة المذلة المخيفة.

وهذا الإنسان الذى أسجد الله له الملائكة ـ سجود تحية ـ لا يسجد إلا لله وفى ذلك غاية التكريم وكمال الحرية.

٣ ـ الإنسان مخلوق من طين وروح :

والإنسان مكون من جسد وروح ، فقد خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١،٧٢] .

فمن الطين تتكون كل عناصر الكائن البشرى ، فيما عدا ذلك السر أو تلك النفخة العلوية التى جعلت منه إنسانًا وميزته عن سائر المخلوقات فى هذه الأرض ، ميزته بخاصية القابلية للرقى العقلى والروحى ، والتى جعلت عقله ينظر تجارب الماضى ، ويصمم خطط المستقبل ،وجعلت روحه تتجاوز المدرك

بالحواس والمدرك بالعقل ليتصل بالمجهول للحواس والعقول.

٤ـ خلق الإنسان فى أحسن صورة:

الإنسان هو المخلوق الذى خلقه الله فى أحسن صورة وأجمل هيئة تميزه عن باقى الدواب على الأرض : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:٧، ٨] .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

إلا أن الإنسان هو الذى يشوه هذه الصورة وهذا الجمال الربانى وهذا التقويم العظيم من الله بوسوسة الشياطين له من الجن والإنس لإفساد هذه الخلقة التى جعل الله عليها الإنسان ، وذلك بتغيير صورة هذه الخلقة بالمساحيق والطلاءات التى ملأ بها اليهود أنحاء العالم حتى يردوا الإنسان إلى أسفل سافلين بخطة بروتوكلات صهيون اللعينة ، فبذلك يهبط الإنسان بعد تكريم الله عزوجل له إلى الدرك الأسفل من البهيمية : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين : ٥، ٦] .

إلا الذين حافظوا على طبيعتهم التى كرمهم الله بها واتبعوا هدى الله : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣] .

ولقد حذر رسول الله ﷺ من الخروج على منهج الله فى هذا المجال بقوله : « **لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**» [مسلم] .

وقوله أيضا : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة** » [البخاري] .

وقوله : « **لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**» [مسند أحمد] .

بالمعاصى تتغير الملامح أو الهيئة أو ـ السحنة ـ ولا يلحظها إلا ذو بصيرة من إيمان عميق وليست المساحيق فقط .

٥ ـ خلق الله كل البشر من نفس واحدة « وحدة الإنسانية »:

لقد خلق الله كل البشر من نفس واحدة ـ آدم ـ ثم خلق منها زوجها ـ حواء ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

ومن هنا ندرك أن هذه البشرية انبعثت من أصل واحد ، وتنتسب إلى نسب واحد وتتصل برحم واحدة .

وهذه الحقيقة تجعل كل البشرية على قدم المساواة فى الإنسانية ، فليس هناك تفضيل لإنسان على آخر ولا لأمة على أمة إلا بالتقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] .

فلو تذكر الناس هذه الحقيقة ، لتضاءلت فى حسهم كل الفروق الطارئة التى نشأت فى حياتهم ، ففرقت بين أبناء النفس الواحدة ، ومزقت روابط الرحم الواحدة .

إن اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات ، تنوع لا يقتضى النزاع والشقاق ، بل يقتضى التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات ، وليس للون والجنس واللغة والوطن حساب فى ميزان الله ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ ، هنا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات والحروب فى الأرض ، فلا عصبية لجنس أو أرض، أو قبيلة ، أو لون ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : « **كلكم لآدم وآدم من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان** » [مسند أبي بكر البزار من حديث حذيفة] ، وقال أيضًا عن العصبية الجاهلية : « **دعوها فإنها منتنة** » [مسلم] .

كل هذا كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصرى ، الذى يسود العالم والذى ذاقت منه البشرية ، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة ، هذه العنصرية التى تفرق بين الأبيض والأسود ، كما هو الآن فى أمريكا وأوربا ، وتفرق بين الأجناس كما فعلت ألمانيا وتفعل الصهيونية العالمية الآن فى فلسطين حيث لا حرمة للفلسطينى ؛ لأنه فى نظر اليهود من الأميين ، واليهود هم شعب الله المختار كما يزعمون ، وما اكتوت به البشرية من نار الحروب إلا لاستعلاء بعض الشعوب على الأخرى ، واستعمارها لها وقهر إرادتها ،

واحتقار شعوبها، وهذه هى النظرة التى تنظر بها دول أوربا وأمريكا لدول العالم الثالث ، وما تطلقه على دول إفريقيا الآن بأنها القارة السوداء إلا دليل واضح على هذه النظرة العنصرية .

٦ـ الإنسان مُستخلف فى الأرض :

يا لها من عظمة ، ويا لها من كرامة ما بعدها كرامة أن خلق الله الإنسان لأمر عظيم ، خلقه ليكون مستخلفًا فى الأرض مالكًا لما فيها ، فاعلًا مؤثرًا فيها : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فعظمة الإنسان يستمدها من خالقه فهو الخليفة لله فى الأرض ، وأنه الكائن الأعلى فى هذا الملك العريض ، والسيد الأول فى هذا الميراث الواسع . ودوره فى الأرض إذن وفى أحداثها وتطوراتها هو الدور الأول ، وأنه سيد الأرض إذن فمشيئة الله تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد فى الوجود زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق فى الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل، وكشف ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله ـ بإذن الله ـ فى المهمة الضخمة التى وكلها الله له، إذن فهى منزلة عظيمة ، أنزلها هذا الإنسان فى نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة ، وهو التكريم الذى شاءه له الخالق الكريم.

٧ـ أعطى الله الإنسان حرية الاختيار والاعتقاد والتفكير :

ومع تساوى استعداد الإنسان لعمل الخير والشر على السواء فى فطرته وتزويده بوسائل التمييز بينهما ، ترك الله للإنسان حرية الاختيار بينهما على أن يتحمل تبعة ما يختار:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وهذه قمة الحرية ولكن مع تحمل مسؤولية النتائج فقد بينت الآيات السابقة النتائج التى سيكون عليها الكافرون والظالمون ، أما نتيجة المؤمنين فتبينها الآيات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١] .

فالإنسان يستطيع أن يعرج إلى السموات العلى ويتجاوز مراتب الملائكة، حين يُخلص عبوديته لله، ويترقى فيها إلى منتهاها، كما أنه يهبط إلى ما دون مستوى البهيمة حين يتخذ إلهه هواه ويتخلى عن خصائص «إنسانيته» ويتمرغ فى الوحل الحيواني، وبين هذين المجالين أبعاد أضخم مما بين السموات والأرض فى عالم الحس وأبعد مدى.

٨ ـ الإنسان مزود بكل الاستعدادات الفطرية التى تؤهله للاستخلاف فى الأرض:

لقد أودع الله الإنسان مجموعة من الاستعدادات الفطرية والتى تؤهله لخلافته فى الأرض ، يغير فيها ويبدل ، وينتج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة . وهى التى تسمح له بالتعرف على بعض نواميس الكون واستخدامها فى حاجته ، تلك الاستعدادات التى تتناسب مع طبيعة هذه المهمة العظيمة ، فقد وهب الله الإنسان العقل وزوده بوسائل تساعده على الإدراك من سمع وبصر : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك:٢٣] .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

ولقد خص الله الإنسان بالعقل دون سائر الدواب على الأرض ، ليقوم بالعمليات العقلية المختلفة من التذكر والنظر والتدبر والتفكر والتفقه والتعقل...الخ وقد ورد ذكرها فى كثير من الآيات القرآنية، وعند عدم استخدام الإنسان هذه الوسائل فيما خلقها الله له فإنه يضل ويكون مصيره إلى جهنم ويكون مثله كمثل الأنعام بل أضل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ

كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

كما أن الله علم الإنسان الأسماء كلها ، فعلمه اللغة التى يتفاهم بها ويتعامل بها مع غيره: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] .

لقد أودع الله هذا الكائن البشرى السر الإلهى العظيم ،وهو يسلمه مقاليد الخلافة ، سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات ، سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رمزًا لها، وهى قدرة ذات قيمة كبرى فى حياة الإنسان على الأرض ، وأن الحياة لم تكن لتمضى فى طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات ، وهى ألفاظ منطوقة ، ومن هنا نستدل أيضا أن آدم تعلم من ربه مفاهيم هذه الأسماء ، فليس من المنطق أن يعلمه الله المسميات بدون فهم مدلولها.

كما كان من فضل الله على الإنسان أن دربه على كيفية مواجهة عدوه اللدود إبليس الذى رفض أن يسجد للإنسان تكبراً واستعلاء عليه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] .

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

فقد وضع الله آدم فى تجربة مباشرة مع إبليس قبل أن يهبط على الأرض: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦] .

وهذا إيذان بانطلاق المعركة فى مجالها المقدر لها بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان ، وهنا تعلم آدم أن له عدوًا «الشيطان» وكانت هذه تجربة لهذا الخليفة وإعدادًا له ، كانت إيقاظًا للقوى المنظورة فى كيانه كانت تدريبًا له على تلقى الغواية ، وتذوق العاقبة ، وتجرع الندامة ، ومعرفة العدو ، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين .

إن قصة الشجرة المحرمة ، ووسوسة الشيطان باللذة ، ونسيان العهد بالمعصية ، والصحوة بعد السكرة ، والندم وطلب المغفرة ... إنها هى تجربة البشر المتجددة المكرورة ! لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته مزودًا بهذه التجربة التى سيتعرض لمثلها طويلا ، استعدادًا للمعركة الدائمة بينه وبين الشياطين الذين يتربصون بالمؤمنين فى كل وقت وحين وفى كل اتجاه : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ .

[الأعراف: ١٦، ١٧]

لقد أذن الله لآدم وزوجته بالمتاع الحلال ووصاهما بالامتناع عن المحظور ولابد من محظور يتعلم منه هذا الجنس أن يقف عند حد ، وأن يدرب المركوز فى طبعه من الإرادة التى يضبط بها رغباته وشهواته ويستعلى بها على هذه

الرغبات والشهوات فيظل حاكمًا لها لا محكومًا كالحيوان ، فهذه هى خصيصة الإنسان التى يفترق بها عن الحيوان ويتحقق بها فيه معنى الإنسان.

وهذه كلها مقومات لإرادته ، حتى يستعلى على ضعفه وشهواته..وقد كان أول تدريب له فى الجنة هو فرض « المحظور » عليه ، لتقوية هذه الإرادة ،وإبرازها فى مواجهة الإغراء والضعف ، وإذا كان قد فشل فى التجربة الأولى ، فقد كانت هذه التجربة رصيدًا له فيما سيأتي.

٩ـ استعدادات وقدرات الإنسان محدودة :

على الرغم من تزويد الله عز وجل للإنسان بالاستعدادات والقدرات والمواهب لتعمير الأرض ، إلا أن هذه القدرات والإمكانيات ليست مطلقة ولكنها محدودة بحدود وظيفة الإنسان وهى القيام بحق الخلافة فى الأرض: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

ولهذا فإن هناك أمورًا لا يحتاج إليها فى وظيفته، ومن ثم لم يوهب القدرة على إدراكها ، أو إدراك ماهيتها.

١٠ ـ تتكون البشرية من جنسين « الذكر والأنثى » :

على الرغم من أن الله قد خلق البشرية كلها من نفس واحدة ، إلا أنه ميز بعد ذلك فى خلقه بين نوعين من البشر هما الذكر والأنثى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟

رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء:١]

كلا الجنسين ـ الذكر والأنثى ـ يشتركان فى كل الخصائص الإنسانية التى سبق ذكرها ؛ لأنهما خلقا من نفس واحدة ، إلا أن لكل جنس منهما خصائصه التى تميزه عن الجنس الآخر ، وهذا لا يخفى على أحد ، وقد عبرت امرأة عمران عن ذلك أجمل تعبير ، فيما يحكى عنه القرآن : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦] .وما أصدقها من شهادة .

فهناك العديد من الفروق بين الجنسين فى النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والميول والاتجاهات التى أثبتتها البحوث العلمية ، التى وافقت الفطرة التى فطرها الله لكل من الجنسين ، وترتبت على هذه الفروق اختلافات فى أدوار كل من الجنسين فى الحياة ، بما يوافق خصائص كل جنس ، وهذا لا يلغى الأدوار الأخرى المشتركة بينهما التى تتوافق مع الخصائص المشتركة بينهما فى الإنسانية .

وهنا لابد أن ندرك أن هذه الفروق فى الخصائص بين الجنسين كانت من رحمة الله بالإنسان فهى من أجل بقائه ومصلحته ، وهى الرباط الذى يربط الجنسين بعضهما ببعض ، ففى تفسير ابن كثير لقول الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا﴾ قوله : « هى حواء ـ عليها السلام ـ خلقت من ضلعه الأيسر ـ أى آدم عليه السلام ـ من خلفه وهو نائم ، فاستيقظ فرآها فأعجبته ، فأنس لها وأنست إليه» ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١] .

لقد فرقت فطرة الله بين الرجل والمرأة فى كثير من الخصائص ، لحكمة بالغة ، فلكل منهما رسالة فى الحياة تليق به وبطبيعته واستعداداته الفطرية ، فاختلاف أدوار كل جنس ، ما هى إلا اختصاصات موزعة توزيعًا ربانيًّا عادلًا، لا جور فيه ولا ظلم ولا منافسة ، بل تكامل وتراحم ، فالزوجة هى أصلا من النفس الأولى فطرة وطبعا ، خلقها الله لتكون لها زوجًا ، ونفس خلقت لنفس ، وشطر مكمل لشطر ، وإنهما ليسا فردين متماثلين ، وإنما هما زوجان متكاملان، والفارق بينهما فى الاستعداد والوظيفة.

إن المرأة فى نظر الإسلام ليست خصمًا للرجل ، ولا منازعًا له ، بل هى مكمل له وهو مكمل لها ، وهى جزء منه وهو جزء منها ، وفى هذا يقول القرآن : ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥] ويقول الرسول ﷺ : « **إن النساء شقائق الرجال** » [الترمذى] .

إن إدراك هذه الحقيقة كان كافيًا لإنقاذ البشرية من تلك الأخطاء الأليمة ، التى تردت فيها ، وهى تتصور فى المرأة شتى التصورات السخيفة فتراها أصل الشر والبلاء ، ومنبع الرجس والنجاسة ، تلك التصورات فى الثقافات غير

الإسلامية التى تخبطت فى هذا التيه طويلا ، جردت المرأة من كل خصائص الإنسانية وحقوقها ، فترة من الزمان ، تحت تأثير هذه التصورات السخيفة التى لا أصل لها ، ولما أرادت معالجة هذا الخطأ الشنيع اشتطت فى الاتجاه المعاكس، وأطلقت للمرأة العنان تحت مسمى تحرير المرأة ، ومساواة المرأة بالرجل . إن أى إصلاح لحال المرأة يقوم على محو كل الفوارق بينها وبين الرجل مآله الفشل ، وهو مكابرة للفطرة التى فطرها الله عليها ، وإن اتباع هدى الله فى هذا الجانب فيه الخير كل الخير للبشرية ، فالإسلام عندما يقدم الرجل أو يقدم المرأة إنما يضع الإنسان فى موضعه الذى يناسب خلقه ، وما جبل عليه وذلك هو العدل المطلق والرحمة المهداة ، من أجل كل ذلك نجد الإسلام خفف عن المرأة بعض التكاليف ، وقدم الرجل عليها فى بعض الأحوال، وقدمها على الرجل فى البعض الآخر ، وجعلها على النصف فى أمور أخرى.

ومن هنا لا يمكن أن نتصور أن يكون فى الإسلام أى انتقاص لحق المرأة، أو حيف عليها لحساب الرجل ، فإن الإسلام هو شريعة الله سبحانه وهو رب الرجل والمرأة على السواء .

إذا كان هذا تفريق الفطرة فلا ينبغى أن نهمله إذا خططنا لتعليم المرأة أو عملها ، بل يجب أن نأخذه كأساس ينبنى عليه هذا التخطيط وهذا التعليم.

١١ ـ الناس مختلفون فى خصائصهم :

ومن طبيعة الناس التى فطرهم الله عليها، الاختلاف فى الاستعدادات والقدرات والمواهب وجعل هذا الاختلاف أصل من أصول خلقهم ، وذلك لتحقيق

حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن فى الأرض، فهذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة ، واستعدادات شتى من ألوان متعددة كى تتكامل جميعها وتتناسق ، وتؤدى دورها فى الخلافة والعمارة ،وفق التصميم الكلى المقدر فى علم الله ، فلا بد إذن من تنوع فى المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف ، ولا بد من اختلاف فى الاستعدادات يقابل ذلك اختلاف فى الحاجات : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨، ١١٩] .

فهناك تنوع واسع فى المدى فى خصائص الأفراد واستعداداتهم ، لا يتماثل فيه فردان قط تمام التماثل ، على توالى العصور ، وفيما لا يحصى عدده من الأفراد فى جميع الأجيال ، فهناك تنوع فى الأشكال والسمات والملامح ، وتنوع فى الطباع والأمزجة والأخلاق والمشاعر، وتنوع فى الاستعدادات والاهتمامات والوظائف.

ورغم هذه الاختلافات فإن ذلك يؤدى إلى تماسك وتعاون بنى آدم بعضهم وبعض لحاجة كل واحد إلى الآخر: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

ولو كان جميع الناس نسخًا مكررة ما أمكن أن تقوم الحياة فى هذه الأرض بهذه الصورة ولبقيت أعمال كثيرة جدًا لا تجد لها مقابلًا من الكفايات ، ولا نجد من يقوم بها ؛ لذلك كان هذا الاختلاف رحمة ببنى آدم ، لاستمرار الحياة ونموها . فكل البشر يُسخر بعضهم لبعض ، وكلهم مسخرون للخلافة فى

الأرض بهذا التفاوت فى المواهب والاستعدادات والتفاوت فى الأعمال والأرزاق ، ونختم بالحديث الشريف ، قال ﷺ : «**ما يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساووا هلكوا**» .

١٢ ـ للإنسان حاجات متعددة :

لقد شاءت إرادة الله أن يخلق الإنسان ويجعل له حاجات ، يحتاج إليها لبقاء حياته ؛ ولذلك فقد زينها له فى نفسه حتى يقبل عليها ويشبعها. وقد عبر عنها القرآن الكريم بأنها شهوة : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾

[آل عمران:١٤]

فالحاجة شهوة تتولد داخل الإنسان تزول بمجرد إشباعها ؛ لذلك يعرفها علماء النفس بأنها حالة من النقص أو الاضطراب الجسمى والنفسى ، إن لم تلق من الفرد إشباعًا بدرجة معينة ، فإنها تثير لديه نوعًا من الألم أو التوتر أو اختلال التوازن سرعان ما يزول بمجرد إشباع الحاجة .

فالإنسان فى فطرته هذه الشهوات ، وهى جزء من تكوينه الأصيل وهى ضرورية لحياته كى تنمو وتضطرد ، فهى شهوات مستحبة مستلذة ، ليست مستقذرة ، ولا كريهة ، والآية الكريمة السابقة تؤكد ذلك ، وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها ؛ لأن هذه الشهوات عبارة

عن دوافع عميقة فى الفطرة لا تغلب ، وهى ذات وظيفة أصيلة فى كيان الحياة البشرية ، لا تتم إلا بها ، ولم يخلقها الله فى الفطرة عبثا .

فعلى الإنسان أن يعرف أن لبدنه عليه حقا ، وعليه أن يمتع نفسه بطيبات الحياة ، وألا يحرم ما أحله الله . وما أحله الله يشمل كل ما تتطلبه البنية الصحيحة السوية من لذة ومتاع : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣١،٣٢] .

تتنوع الحاجات وتتعدد لدى الإنسان ، فمنها الحاجات الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والشراب ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴾ [طه:١١٨، ١١٩] .

والحاجة إلى الأمن : ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: ٣،٤] .

والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ولقد حاول علماء النفس التعرف على حاجات الإنسان وتصنيفها ومعرفة العلاقة بينها ، وكان من أشهر ما تدفقت عقولهم به ما توصل إليه « ماسلو » حيث رتب الحاجات الإنسانية تصاعديًا على أساس أنها تنمو تتابعيًا كما يلى :

الحاجات الفسيولوجية ، حاجات الأمن ، الحاجة إلى الانتماء ، الحاجة إلى تحقيق الذات.

ويرى ماسلو فى هذا الترتيب التصاعدى للحاجات أن المستويات المتتالية للحاجات تظهر تباعا وتحتل مكانها كلما تقدم الفرد فى النمو والنضج ، فالمستوى الأول من الحاجات الفسيولوجية يظهر مع بداية الحياة ويحتل مكانة الصدارة فى الدافعية ، ثم ما تلبث المستويات النالية من الحاجات فى الظهور على التوالى وتكتسب الصدارة واحدة بعد الأخرى حتى تصل إلى مستوى تحقيق الذات لدى الفرد الناضج متصدرًا دوافعه ، بينما تكون المستويات السابقة على التوالى أقل تأثيرًا فى دافعية الفرد .

إلا أن هذا ليس صحيحًا ، فكثيرًا ما يحدث اختلال فى هذا التنظيم الهرمى للحاجات ، فقد يحدث لدى بعض الأفراد أن تنتقل الدافعية فى نضجها لديهم من المستوى الأدنى إلى الأعلى دون المرور على المستوى الأوسط بينهما .

وهكذا ندرك أن هناك خللًا فى هذا التصور للحاجات عند علماء النفس ، ولو أن علماء المسلمين رجعوا إلى كتاب ربهم الذى فيه الهدى كل الهدى لوجدوا فيه ضالتهم ، فهذا التصور الذى وضعه ماسلو قد اقتصر على الحاجات البهيمية فقط ، ولم يتعدها إلى ما هو أسمى منها لدى الإنسان ، فإذا كان ماسلو يتصور أن أعلى وأسمى الحاجات هى تحقيق الذات ، فإن « الثور» فى الغابة أيضًا يحقق ذاته حيث يصارع باقى الثيران حتى يحقق لنفسه الغلبة والفوز ويكون هو سيد القطيع ولا ينازعه فى ذلك باقى الثيران .

لقد كان تصور ماسلو نابعًا من النظرة الداروينية للإنسان التى تعتبر الإنسان فى

نشأته حيوان « قرد » ، ومن هنا جاءت تصورات ماسلو ، كما جاءت تصورات فرويد التى فسرت كل سلوكيات الإنسان بأنه حيوان غارق فى اللذة الجنسية .

ولكن الإنسان له تكوين خاص متفرد ، يزيد على مجرد التركيب العضوى الحيوى ، الذى يشترك فيه مع بقية الأحياء بخاصية الروح الإلهى المودع فيه ، وهى الخاصية التى تجعل من هذا الإنسان إنسانًا ، له حاجاته الأساسية التى تختلف وتزيد عن حاجات الحيوان الأساسية ؛ لذلك فهناك حاجات أخرى للإنسان أسمى من الحاجات التى حددها ماسلو سابقًا ، حاجات تخص الإنسان وتميزه عن الحيوان وهذه الحاجات تتمثل فيما يلى :

أ ـ حاجة الإنسان إلى حرية التفكير والاعتقاد والاختيار والإرادة :

فالحرية هى صدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهى معنى الحياة ، حيث يشب الإنسان من طفولته وهو يحس بأن كل ذرة من كيانه تنشدها وتهفو إليها فكما خلقت العين للبصر والأذن للسمع ، وكما خلق لكل جارحة أو حاسة وظيفتها التى تعتبر امتدادًا لوجودها واعترافًا بعملها ، كذلك خلق الله الإنسان ليعز لا ليذل ، وليكرم لا ليهون ، وليفكر بعقله ، ويهوى بقلبه ، ويسعى بقدمه ويكدح بيده ، لا يشعر وهو يباشر ذلك كله بسلطان أعلى يتحكم فى حركاته وسكناته إلا الله عز وجل .

لقد وهب الله عز وجل الإنسان الحرية ولم يجبره على شيء ، وترك حرية الاختيار حتى فى العقيدة ، حيث قال فى كتابه الكريم : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ

بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] .

إن الحرية فى الإسلام حق فطرى للإنسان يتمتع به الفرد بحكم ولادته ، وقد عبر عن ذلك عمر بن الخطاب بقوله لعمرو بن العاص معاتبًا : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا » وعلى النقيض من هذا نرى الطواغيت ينتهكون هذه الحرية فها هو الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن يهدد كل البشرية ويقول : « من ليس معنا فهو ضدنا » ويعلن الحرب على كل من ليس مع أمريكا .

ب – حاجة الإنسان إلى الشعور بالرضا :

فإلى جانب مستوى حرية الفكر والاعتقاد والاختيار والإرادة فهناك مستوى أعلى من الحاجات الإنسانية يتمثل فى مستوى الرضا والذى يشعر فيه الإنسان بحاجته إلى رضا ربه عليه وهى غاية ما بعدها غاية ، هذا الرضا من الله هو أعلى وأندى من كل نعيم ، وأكبر من كل متاع ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] ، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[التوبة:٧٢]

هذا الرضا هو الذى يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص

العميق ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] .النفس المطمئنة إلى ربها ، المطمئنة إلى طريقها ، المطمئنة إلى قدر الله بها ، المطمئنة فى السراء والضراء ، وفى البسط والقبض ، وفى المنع والعطاء ، المطمئنة فلا تنحرف ، والمطمئنة فلا تتلجلج فى الطريق ، والمطمئنة فلا ترتاع يوم الهول الرعيب .

وهذا المستوى فيه من اللذة ما ليس فى سواه من المستويات السابقة ويتضح ذلك فى قول رسول الله ﷺ : « **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمدٍ رسولا** » [رواه مسلم] ، وفى قوله : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة طعم الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار** » [البخارى] .

لذلك فإن هذا المستوى من الحاجات هو الذى يضبط باقى الحاجات فى المستويات الأقل ، فيكون لدى الإنسان الاستعداد لضبط النفس ووقوفها عند الحد السليم من مزاولة هذه الحاجات ؛لأن هذا المستوى هو الذى يتعلق بروح الإنسان ، التى جاءت من النفحة العلوية من الله فى خلق الإنسان ، لذلك فهى التى تربط القلب البشرى بالملأ الأعلى والدار الآخرة ورضوان الله ، ومن ثم تعمل على تنقية الحاجات فى المستويات الأدنى من الشوائب ، وتجعلها فى الحدود المأمونة التى لا يطغى فيها جانب اللذة الحسية ونزعتها القريبة ، على الروح الإنسانية وأشواقها البعيدة والاتجاه إلى الله وتقواه .

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها ومحاولة تهذيبها ، لا كبتها وقمعها ؛ لذلك فقد ضمن الإسلام سلامة الإنسان من الصراع بين شطرى النفس البشرية ، بين نوازع الشهوة واللذة الحسية ، وأشواق الارتفاع والتسامى ، وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر فى حدود التوسط والاعتدال .

وبذلك لا يكون هناك خلل فى هذه المستويات ، كما هو الحال فى تصورات علماء النفس عن الحاجات الإنسانية الذين استخدموا عقولهم فقط فى وضع تصوراتهم دون الرجوع إلى هدى الله الذى يهدينا إلى سواء السبيل ؛ ولذلك ندعو الله عز وجل أن يهدى علماء المسلمين فى علم النفس والتربية أن يعملوا عقولهم فى ضوء هدى الله ليصلوا إلى الهدى .

١٣ ـ الإنسان لديه استعدادات متساوية للخير والشر :

إن الإنسان لديه استعدادات متساوية للخير والشر على السواء كما اقتضت مشيئة الله له ، فقد خلقه الله مزودًا بقدرات كافية فيه تجعله قادرا على القيام بعمل الخير وعمل الشر على السواء . ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ٨-١٠] .

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧-١٠] .

١٤ ـ الإنسان لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر :

وفى نفس الوقت الذى زود فيه الله الإنسان بالاستعداد لعمل الخير وعمل الشر على السواء فقد أودع فى نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر والهدى والضلال ، والحق والباطل . كما زوده بكل وسائل الإدراك والتمييز والتدبر، وأهمها السمع والبصر والفؤاد والنطق ، وكل الوسائل التى تسهل له الاختيار وتيسر له وظيفته فى الحياة ، فعن وابصة بن معبد ـ رضى الله عنه ـ قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « **جئت تسأل عن البر والإثم؟**» قلت: نعم ، قال : « **استفت قلبك : البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك**» ففى هذا الحديث يتضح بجلاء أن الإنسان جبل بفطرته التى فطرها الله عليها على التمييز بين الخير والشر والحق والباطل.

١٥ ـ الإنسان يمكن استهواؤه ووقوعه فى الخطأ :

ومن خصائص الإنسان أن فيه ضعف بشرى حتى أنه يمكن قيادته إلى الشر والارتكاس إلى الدرك الأسفل من حطام شهواته ... وفى أولها ضعفه تجاه حب البقاء ، وضعفه تجاه حب الملك..ويكون فى أشد حالات ضعفه وأدناها حين يبتعد عن هدى الله ويستسلم لهواه ، أو يستسلم لعدوه العنيد الذى أخذ على عاتقه إغواءه، فى جهد ناصب ، لا يكل ولا يدع وسيلة من الوسائل ، وهذا الضعف يمكن اتقاؤه بالإيمان والذكر حتى لا يكون للشيطان سلطان

على المؤمن الذاكر ولا يكون لكيده الضعيف حينئذ من تأثير.

وقد اقتضت رحمة الله به ـ من ثم ـ ألا يتركه لفطرته وحدها ولا لعقله وحده فأرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب السماوية للإنذار والتذكير والهداية وما أعدل الله ! فإذا كانت فطرة الإنسان قد تساوت فيها نزعة الخير والشر داخله، ولكن مع وجود الشيطان يؤسس له الشر من الخارج، فكانت رحمة الله له بإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية له بهدايته حتى تتساوى لديه أيضًا عوامل الشر والخير الخارجية وله أن يختار ويقرر بعد ذلك بإرادته مع تحمل النتائج.

١٦ـ الإنسان ينسى ويتذكر :

ومن طبيعة الإنسان التى فطره الله عليها النسيان ، وكان ذلك منذ النشأة الأولى للإنسان : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥] ، ومما يزيد من عملية النسيان ضعف العزيمة كما يتضح ذلك من سياق الآية ، ومن أشد عوامل النسيان انهماك الإنسان فى المعاصى واللهو واللعب ، وانغماس الإنسان فى متاع الحياة الدنيا وزينتها ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف:٥١] .

وما كان جواب معلم الإمام الشافعى لشكواه من سوء الحفظ والنسيان السريع إلا دليلًا واضحًا على ذلك حيث قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصي
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

ولذلك يضع لنا رب العزة العلاج لهذه الظاهرة فى الإنسان بقوله : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

١٧ ـ الإنسان لديه غل فى قلبه :

ومن نماذج الشر التى تكون لدى الإنسان خاصية الغل وهى من أكثر مصادر الشر لدى الإنسان ، فقد كان الغل هو المحرك الأساسى لقتل ابن آدم لأخيه ، لا لجرم ارتكبه ـ فما كان هناك مبرر ليحنق الأخ على أخيه ، وليجيش خاطر القتل فى نفسه ـ اللهم إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر ، شعور الغل الأعمى ، الذى لا يعمر نفسًا طيبة: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٣٠] وما كانت الحروب العديدة ـ فى الغالب ـ والتى حصدت أرواح الكثير من الأبرياء إلا نتيجة هذا الغل فى القلوب ، وهذه الخاصية لا يمكن نزعها من جذورها من الإنسان فى الدنيا ، إلا أن الله يمن على المؤمنين فى الآخرة بنزعها من قلوبهم حتى تصفى لنعيم الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٥-٤٧] .

فالبشر يثور بينهم فى الحياة الدنيا غيظ يكظمونه بإيمانهم ، وغل يغالبونه ويغلبونه ولكن سيبقى فى القلب منه آثار ، فالإيمان يعمل على تخفيف حدتها ويتسامى بها

لتنصرف إلى جانب الحب فى الله والكره فى الله ؛ لذلك قال رسول الله ﷺ : « **لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا** » [البخاري] ، وقال ﷺ : « **ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين . فإن دعوتهم تحيط من خلفهم** » [ابن ماجه] .

١٨ ـ جُبل الإنسان على الحياء وستر عورته :

لقد جبل الإنسان على الحياء وستر عورته ، فمن كرم الله على بنى آدم أن علمهم ، ويسر لهم ، وشرع لهم اللباس الذى يستر العورات المكشوفة ، ثم يكون زينة وجمالا لهم ، بدلا من قبح العرى وشناعته فقال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

فكلمة ﴿ أَنزَلۡنَا ﴾ أى : شرعنا لكم فى التنزيل واللباس يطلق على ما يوارى السوأة ، وهو اللباس الداخلي ، أما الرياش فيطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به ، وهو ظاهر الثياب.

ولقد جعل الله ستر الجسد فطرة فى بنى آدم ، فالفطرة السليمة تنفر من كشف سوأتها الجسدية والنفسية ، وتحرص على سترها ومواراتها. وقد ظهر هذا جليًا عندما شعر آدم وحواء بعد الأكل من الشجرة أن لهما سوآت تكشفت بعد أن كانت مواراة عنهما ، فراحا يجمعان من ورق الجنة ويشبكانه بعضه فى بعض، ويضعانه على سوأتيهما ، مما يوحى بأن الحياء من التعرى وانكشاف السوأة

فطرة مركوزة فى طبع الإنسان ، ولا يتعرى الإنسان وينكشف إلا إذا فسدت هذه الفطرة : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] .

ومن هنا يستطيع المسلم أن يربط بين الحملة الضخمة الموجهة إلى الناس وأخلاقهم ، والدعوة السافرة إلى العرى الجسدى ـ باسم الزينة والحضارة والموضة وبين الخطة الصهيونية لتدمير إنسانيتهم والتعجيل بانحلالهم ، ليسهل تعبيدهم لملك صهيون ، وهذه الحملة الفاجرة الداعرة إلى العري النفسى والبدنى الذى تدعو إليه أقلام وأجهزة تعمل لشياطين اليهود فى كل مكان ، والزينة « الإنسانية » هى زينة الستر ، بينما الزينة الحيوانية هى زينة العري: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧] .

لقد كان النداء الأول تذكيرًا لبنى آدم بذلك المشهد الذى عاناه أبواهم ، وبنعمة إنزال اللباس الذى يستر العورة والرياش الذى يتجمل به، أما هذا النداء الثانى فهو تحذير لبنى آدم عامة ألا يستسلموا للشيطان ، وفيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد.

إن ستر الجسد حياءً وليس مجرد اصطلاح وعرف بيئى ـ كما تزعم الأبواق

المسلطة على حياء الناس وعفتهم لتدمير إنسانيتهم ، وفق الخطة اليهودية البشعة التى تتضمنها مقررات حكماء صهيون ، إنما هى فطرة خلقها الله فى الإنسان ، ثم هى شريعة أنزلها الله للبشر ، وأقدرهم على تنفيذها بما سخر لهم فى الأرض من مقدرات وأرزاق.

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوأتها الجسدية والنفسية وتحرص على سترها ومواراتها ، فى حين أن العرى غريزة حيوانية لا يميل الإنسان إليها إلا إذا ارتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان ، أما رؤية العري جمالا فهو انتكاس فى الذوق البشرى قطعًا.

كما حرص الله على ستر الإنسان حتى فى مماته حيث أمر بسرْعة دفنه (قبره) ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢١] .

وقد علم الإنسان كيف يوارى سوأة بنى جنسه : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٣١] .

وقد رغب رسول الله ﷺ فى ذلك وبين ثواب الاشتراك فى تشييع الجنازة بقوله : « **من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا ، وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفق فإنه يرجع بقيراط** » [البخارى] .

١٩ ـ الإنسان لديه الاستعداد للاعتراف بالخطأ والندم عليه وطلب المغفرة :

ومن خصائص هذا الكائن الكريم على الرغم من أنه ينسى ويخطئ وأن فيه ضعفا يدخل منه الشيطان ، وأنه لا يستقيم دائمًا إلا أنه يدرك خطأه ، ويعرف زلته ، ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة ... إنه يثوب ويتوب ، ولا يلح كالشيطان فى المعصية ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

إنها خصيصة الإنسان التى تصله بربه وتفتح له الأبواب إليه ... الاعتراف والندم والاستغفار ، والشعور بالضعف والاستعانة به وطلب رحمته مع اليقين بأنه لا حول ولا قوة إلا بعون الله ورحمته وإلا كان من الخاسرين.

ومن رحمة الله به أن الله يقبل توبته ويغفر له خطيئته : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]

كذلك علمه كيف يتوب ويعود إلى كنف الله، ويطلب العون من ربه والمغفرة : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

[البقرة: ٣٧]

ومن رحمة الله به كذلك أن جعل باب التوبة مفتوحًا له فى كل لحظة ، فإذا

نسى ثم تذكر ، وإذا عثر ثم نهض، وإذا غوى ثم رشد... وجد الباب مفتوحًا له وقبل الله توبته ، وأقال عثرته ، فإذا استقام على طريقه بدل الله سيئاته حسنات ، وضاعف له ما شاء ، ولم يجعل خطيئته الأولى لعنة مكتوبة عليه وعلى ذريته فليست هنالك خطيئة أبدية ، وليست هنالك خطيئة موروثة ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى .

دور المناهج فيما يختص بخصائص طبيعة الإنسان

١ ـ دراسة التلاميذ لأوجه تكريم الله للإنسان ، وأنه سيد هذه الأرض وخليفة الله فى الأرض ، وبيان كيف أن الله سخر له هذا الكون من أجله من جماد وحيوان ونبات.

٢ ـ دراسة التلاميذ لآيات الله فى الكون وفى أنفسهم ، وتعويدهم على التفكير فى هذه الآيات والتمعن فيها ، وربطها بوحدانية الله ، لتعزيز فطرة الإنسان الإيمانية.

٣ ـ أن تعمل المناهج على تربية الجانبين الجسمى والروحى للتلميذ معا ، مع الأخذ فى الاعتبار أن غذاء الروح تكون من نفس مصدرها وهو روح الله ، لذلك فغذاؤها هو كلام الله وذكره ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾

[الرعد:٢٨]

ولذلك فإن ما يعانيه الشباب الآن من كثرة الأمراض النفسية ما هو إلا نتيجة عدم تغذية أرواحهم بغذائها المناسب .

٤ ـ تربية التلاميذ على احترام حقوق الآخرين فى الإنسانية كما شرعها الله ، والتعاون معهم على تحقيق سعادة البشرية وانتشار السلام والرخاء فى العالم ومساعدتهم للاهتداء بهدى الله .

٥ـ أن تتضمن المناهج ما تعانيه البشرية من ظلم الطغاة وبغض الشعوب للشعوب الأخرى بحجة أفضليتها وتفوقها العقلى ، وكيف عمل الإسلام والمسلمون على رفع الظلم والاستبداد الذى عانت منه البشرية قبل الإسلام على يد الفرس والرومان ، ثم عاد هذا الظلم للبشرية بعد ضعف المسلمين على يد الدول الاستعمارية الغربية .

٦ـ دراسة التلاميذ لكيفية تحقيق خلافة الإنسان لله فى الأرض ، ومهمته فيها.

٧ـ العمل على تنمية وسائل البحث من المعرفة التى خلقها الله للتلميذ ، بتدريب التلاميذ على أنماط التفكير المختلفة ، وحل المشكلات ، والقدرة على الملاحظة والتدبر ، فيجب أن تشمل المناهج على كل ما يساعد على ذلك ، سواء فى محتوى المنهج أو طرق التدريس والأنشطة التعليمية المختلفة.

٨ ـ تربية التلاميذ على الاستعانة بالله دائمًا فى كل الأعمال ، وعدم الغرور بما وهبهم الله من قدرات ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يشرع لنفسه بخلاف ما شرع الله له ؛ لأن قدرته محدودة .

٩ ـ الاهتمام بتعليم الجنسين الخبرات الإنسانية المشتركة بينهما دون تمييز .

١٠ـ أن تتضمن المناهج الخبرات التعليمية المفيدة لكل جنس حسب طبيعته المميزة له وتعمل على إعداده للدور الذى خلقه الله من أجله .

١١ـ أن تعمل المناهج على تربية كل جنس « ذكر أو أنثى » على احترام خصائص الجنس الآخر .

١٢ـ مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ فى دراستهم وذلك بتنويع الأنشطة وطرق التدريس والبرامج التعليمية بما يساير هذه الفروق ،كل حسب قدراته واستعداداته وميوله، والعمل على اكتشاف هذه الفروق مبكرًا وتوجيه التلاميذ كل حسب قدراته للوجهة التعليمية المناسبة له ؛ لأن فى ذلك فائدة عظيمة للفرد وللمجتمع على السواء.

١٣ـ أن تقوم أنشطة المنهج على إشباع حاجات التلاميذ حتى تتولد لديهم الدوافع للنشاط والاستمرار فيه ، وتدريب التلاميذ على كيفية إشباع وتهذيب حاجاتهم ـ وليس كبتها ـ بالطرق المشروعة ، وبيان حرمة الطرق غير المشروعة ومحاربتها ، والوصول بهم إلى مستوى الرضا بما شرعه الله .

١٤ ـ التدرج مع التلاميذ فى استخدام الحاجات كدوافع للتعلم للوصول بهم إلى مستوى الرضا بحيث تكون كل أعمالهم فى نهاية المطاف قائمة على تحقيق مستوى الرضا عند الإنسان .

١٥ـ استغلال حاجات التلاميذ فى تكوين المهارات والعادات والاتجاهات المفيدة .

١٦ـ تنمية استعدادات التلاميذ لعمل الخير ومقاومة الشر بدراسة الجوانب الأخلاقية الحميدة وبيان أهميتها للإنسان ، ودراسة السيرة الطيبة لمن تتصف أخلاقهم بخلق القرآن . والعمل على أن يزاول التلاميذ هذه الأخلاقيات فى أنشطتهم المختلفة وتعاملهم مع الآخرين.

١٧ـ تعويد التلاميذ على الشجاعة بالاعتراف بالخطأ ، وأن الاعتراف بالخطأ فضيلة والقوى هو الذى يعترف بخطئه ، والمسارعة بالندم على ارتكاب الخطأ وطلب المغفرة من الله ، وأن الله غفور رحيم ، فنحن بشر نصيب ونخطئ وخير الخطائين التوابون ، وتعويدهم العمل على تلافى هذا الخطأ وذلك بدراستهم لمثل هذه المواقف فى سيرة الصالحين وتدريبهم على ذلك فى أنشطتهم التعليمية.

١٨ـ تعليم التلاميذ أن الإنسان له عدو يتربص به فى كل وقت وحين وهو الشيطان وذلك ببيان طبيعة هذا العدو ودوره فى غواية الإنسان ، وكيفية الحرص منه وتجنب وسوسته وذلك بدراسة ما يتعلق بذلك فى القرآن والسنة والسيرة ، وتدريب التلاميذ على كيفية التغلب على وسوسة الشيطان.

١٩ـ تنمية القيم الأخلاقية التى فطر الله التلميذ عليها ، والحفاظ على الهيئة التى خلقه عليها ؛ لأنها هى أحسن صورة للإنسان كرمه الله بها، والحفاظ على هذه الكرامة ، بستر عورته ، وعدم إفساد هذه الفطرة بتعليم التلاميذ كيفية مواجهة وسائل الإعلام المغرضة التى تعمل على النيل من قيم وأخلاق هذه الأمة لتحطيمها.

٢٠ـ الاهتمام فى تربية التلميذ بكل جوانب حياته ، جسمه ، وعقله، ووجدانه، لتشتمل هذه التربية الجوانب : الإيمانية،والخلقية،والجسمية، والعقلية والنفسية ، والجنسية ، والاجتماعية . فقد رأينا فى التحليل السابق

كيف أن الله عز وجل قد أولى كل هذه الجوانب فى تربيته لآدم.

وخلال الفصل التالى سنتناول إن شاء الله هذه الجوانب بالتفصيل لأهميتها فى إعداد المناهج .